أجمعت فيك ومن بعد ذا انك رازي كثير الغلط

قال الصولي :أراد بقوله رازي كثير الغلط انه يرتفق فنسبه الى اللصوصية لان اللص الحاذق ينسب الى الري، ومثل بيتي المأمون ما أنشده الاصمعي

اذا ما بدا عمرو بدت منه صورة تدل على مكنونه حين يقبل

بياض خراسان ولكنة فارس وجثة رومي وشعر مفلفل

الباب السابع عشر

فيما يضاف وينسب الى أهل الصناعات

سرى القين ، راية بيطار ، راحة صباغ ، حمار القصار ، كلب القصاب، بيت الاسكاف ، حرص النباش، تيه المغني، جنون المعلم ، رغفان المعلم ، كذب الدلال، كذب الصناع ، قسوة الفدادين

الاستشهاد

سرى القين — يضرب مثلا لمن يظهر الشخوص وهو مقيم ويعرَف بالكذب فلا يصدق وان صدق ،واصله ان القين وهو الحداد بالبادية ينتقل في مياه القوم فاذا كسد عليه عمله قال لاهل الماء. اني راحل عنكم الليلة ، وان لم يرد ذلك ولكنه يشيعه ليستعمله من الناس من يريد استعماله .ولما كثر ذلك من قوله قالوا اذا سمعت بسرى القين فاعلم انه مصبح .والبديع الهمذاني من رقعة: شر الحمام الداجن ومقيم الماء ياجن(١) وانك لتؤذن بالبين ثم تصبح عن سرى القين ويلك ما هذه الرعونة والاخلاق الملعونه

(١) ياجن يأجن مخففة من أجن على وزن ضرب أي تغير

Digitized by Google

راية بيطار — يضرب مثلا في الشهرة فيقال أشهر من راية بيطار . قال الشاعر وهو يصف رجلا بطول اللحية :فقد صار بها أشهر من راية بيطار

راحة صباغ — يضرب مثلا لمن يستقبح ويشبه بها ماليس يستنظف ،وأنشد الجاحظ لابي المنهمر مولى تميم

وصفت بجهدي وجه حفص وخلقه فما قلت فيه واحدا من ثمانيه
له زي مجنون وخلقة كافر وتقطيع كشحان ورأس بن زانيه
ولحية قواد وعين مخنث وجبهة مأبون يناك علانيه
وراحة صباغ وصدرة حائك ومرفق سقط رد في الرحم ثانيه

حمار القصار — يضرب به المثل فيمن يصير الى الخوف وسوء القرى فيقال: كان يوم فلان كحمار القصار ان جاع شرب وان عطش شرب

كلب القصاب — يضرب مثلاً للفقير يجاور الغني فيرى من نعيم جاره وبؤس نفسه ماتنتغص معه معيشته. والعامة تقول :كلاب القصابين أسرع عمى من غيرها بعشر سنين لانها لاتزال ترى من اللحوم مالا تصل اليه ،فكأن رؤية ما تشتهيه وتمنع منه يورثها العمى

بيت الاسكاف — يضرب به المثل فيقال .بيت الاسكاف فيه من كل جلد رقعة ومن كل أدم قطعة، كما يقال: هم كبيت الادم ،اذا كانوا مختلفين وفيهم الشريف والوضيع قال الشاعر

الناس أضياف وشتى في الشمم وكلهم يجمعهم بيت الادم

قال بعضهم :يعنى أديم الارض الذي يجمعهم على اختلافهم

حرص النباش — ذم رجل رجلا فقال له : كيادمخنث و وقاحة نائحة وشره قواد وملق داية وبخل كلب وحرص نباش

Digitized by Google

تيه المغني -- يضرب به المثل كما قال ابو نواس تيه مغن وظرف زنديق

وكما قال الآخر

جمعت الذي لو كان يؤلم من أذى فيشكو لهانت عنده أم ملدم

عبارة أصحاب الحديث ونوكهم وتيه المغني في جنون المعلم

جنون المعلم -- قد جرى المثل بجنون المعلمين لفساد أدمغتهم كما قال الشاعر

معلم صبيان يروح ويغتدي على أنفه ألوان ريح فسائهم

وقد أفسدوا منه الدماغ بفسوهم ورفعهم أصواتهم في هجائهم

وأبلغ ما قيل في ذمهم ما أنشده الجاحظ لصقلان المعلم

وكيف يرجى العقل والحزم عند من يروح الى أنثى ويغدو الى طفل

وأنشد لغيره في معناه

متى يأت المعلم يوم خير ولم يعرف سوى أنثى وطفل

وأنشد

فان كنت قد بايعت مروان طائعا فصرت اذن بعد المشيب معلما

وفارقت قومي مؤثرا لعدوهم وأصبحت فيهم ذا هل العقل مفحما

وفي كتاب «حراب الدولة» ان معلما مرّ في النظارة الى حرب فاصاب رأسه سهم فقال أصحابه ينبغي ان ينزعه رفقاً به لئلا يفسد دماغه، فقال المعلم انزعوه كيف شئتم فلو كان لي دماغ ما أتيت الحرب

رغفان المعلم -- يضرب بها المثل في الاختلاف وشدة التفاوت، لان رغفان المعلم تختلف بحسب اختلاف آباء الصبيان في الغنى والفقر والجود والبخل، كما قال من هجا الحجاج وذكر انه كان معلما

Digitized by Google

أينسى كليب زمانا مضى وتعليمه سورة الكوثر
رغيفاً له فلكة ما ترى وآخر كالقمر الأزهر

وأنشد الجاحظ للرقاشي في ذكر معلم

مختلف الخبز خفيف الرغيف منتثر الزاد لئيم الوصيف

وأنشد لابي الشمقمق

خبز المعلم والبقال متفق واللون مختلف والطعم والصور

وقال ابن الميساني

أما رأيت بني زيد قد اختلفوا كانهم خبز بقال وكتاب

وذكر بعض البلغاء قوما مختلفين ، فقال: قرع الخريف وابل الصدقة ورغفان المعلم

كذب الدلال — يقال ان أمر الدلال لا يتمشى بغير الكذب ، فهو يثابر عليه . ويقال : لكل أحد رأس مال ورأس مال الدلال الكذب . ويروى انه أول من دلّ ابليس حيث قال: هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى

كذب الصناع — : قال ابن سمكة في كتابه من أمثالهم: أكذب من صنع ، وهو الصانع العامل بيده ، وفي الحديث — ويل لعامل يد من غد وبعد غد ، وفيه أيضاً — اكذب أمتي الصواغون والصباغون

قسوة الفدادين — هم الأكرة الذين يرفعون أصواتهم في سياقة البقر والحمير . والفديد الصوت الشديد . وفي الخبر — ان الجفاء والقسوة في الفدادين وجهل هؤلاء متعارف مشهور

Digitized by Google

الباب الثامن عشر

في الآباء والامهات الذين لم يلدوا . والبنين والبنات الذين لم يولدوا

وهو في اربعة فصول

الفصل الاول في الآباء — أبو الضيفان ، أبو مرة ، أبو يحيى ، أبو الذبان أبو دثار ، أبو سريع ، أبو براقش ، أبو قلون ، أبو رياح ، أبو عمرة ، أبو مالك أبو غـدور ، أبو مثوى ، أبو العجب ، أبو البيضاء ، أبو ظريف ، أبو قيس ، أبو ضوطري ، أبو ليـلى ، أبو أيوب ، أبو الاخطل ، أبو زياد ، أبو جعدة أبو خالد

الاستشهاد

أبو الضيفان — هو ابراهيم عليه السلام، لانه أول من قرى الضيف وسن لابنائه العرب القرى. وكان اذا أراد الاكل بعث أصحابه ميلا في ميل يطلبون ضيفا يؤاكله . وقد تقدم ذكر ضيفه المكرمين

أبو مرة — هو ابليس وانما كني بهذه الكنية لان الشيخ النجدي الذى ظهر ابليس في صورته فأشار على قريش بأن يكونوا سيفاً واحدا على النبي صلى الله عليه وسلم كان يكنى أبا مرة. أنشدني الخوارزمي لنفسه من أبيات

ويامن صبر يوم عنه في حكم الهوى كفره
ويامن طرفه جيش كثيف لأبي مرّه

ولابن الحجاج

فما تلاقينا سوى مره حتى أتى الشيخ أبو مره

وللصاحب من رسالة مداعبة — وأرجو ان يساعدنا الشيخ أبو مره كما

Digitized by Google

ساعده مره ، فنصلى للقبلة التي صلى عليها ونخطب على الدرجة التي خطب عليها

أبو يحيى — يقال لقابض الارواح أبو يحيى كما يقال للحبشي أبو البيضاء وللاعمى أبو البصير : أنشدني أبو بكر الخوارزمي لنفسه من قصيدة

سريعة موت العاشقين كأنما يغار عليها من هواهم أبو يحيي

وله من قصيدة مرثية

أعوّذه من لفحة الريح خيفة عليه ورجل الموت تطلبه عجلى

وادعوله بالعمر في كل مشهد ويضحك مني في الكمين أبو يحيي

أبو الذبان — كني به عبد الملك بن مروان لشدة بخره ، وموت الذبان اذا دنت من فيه . ويحكى انه عض يوما تفاحة ورمى بها الى بعض نسائه فدعت بسكين فقطعت موضع عضته . فقال لها ما تصنعين ؟ قالت أميط عنها الأذى ، فطلقها من وقته

أبو دثار — يقال للكلة التي يتوقى بها من البعوض . وهي على صورة بيت يخاط من ثوب رقيق يستشف ماوراءه ولا يجد البعوض متخللا فيه أو دثارا ، قال الشاعر وهو من ظريف القريض

لنعم البيت بيت أبي دثار اذا ما خاف بعض القوم بعضا(١)

أبو سريع — هو النار في العرفج ، وأنشد

لاتعدلن بأبي سريع اذا عرت نوب الصقيع

ونار العرفج أسرع النيران التهابا وهي نار الرجفتين وسيمر ذكرها في باب النيران

---

(١) البعض عض البعوض يقال بعضته البعوض تبعضه بعضا اذا عضته

Digitized by Google

أبو براقش — طائر منقش بألوان النقوش يتلوّن في اليوم الوانا ويضرب به المثل للتلون ، قال الشاعر

ان يغدروا أو يجبنوا أو يبخلوا لا يحفلوا
يغدو عليك مرجلا بين كأنهم لم يفعلوا
كأبي براقش كل يو م لونه يتحـوّل

ويروى يتخيل اي يصير كالأخيل ، قال الخليل هو طائر البر يشبه القنفذ أعلى ريشه أغبر وأوسطه اسود وأحمر فاذا أهيج انتفش وتغير لونه

أبو قلمون — هو في الثياب كأبي براقش في الطير فان أبا قلمون يتلوّن وأبا براقش يتخيل ، وأبو قلمون كنية لثياب ابريسم وكتان تنسج بالروم ومصر يضرب به المثل يقال : أكثر تنقلا من أبي قلمون ، كما قال الشاعر .

أنا أبو قلمون في كل لون أكون

وقال أبو بكر الخوارزمي في أبي طاهر الكاتب الكرماني

والله لافارقت كفي قفاه ولم تنسج أبو قلمون في نواحيه

أبو رياح — تمثال فارس من نحاس بمدينة حمص على عمود حديد فوق قبة كبيرة بباب الجامع يدور مع الريح حيث هبت ويمينه ممدودة واصابعها مضمومة الا السبابة ، فاذا أشكل على اهل حمص مهب الريح عرفوا ذلك به فانه يدور بأضعف نسيم يصيبه ، ولذلك كني بأبي رياح ، وقد يقال للرجل الطائش الذي لاثبات له ابو رياح تشبيها به وقيل

أف لقاض لنا وقاح امسى بريئاً من الصلاح
كأن دينه عليـه غراب نوح بلا جناح
وليس في الرأس منه شيء يدور الا أبو رياح

Digitized by Google

ويحكى ان أباعبادة دخل على المتوكل وبين يديه جام من ذهب فيه الف دينار ، فقال: ياأباعبيدة اسألك عن شيء فان أجبتني على البديهة من غير أن تتفكر أو تتمم فيه فلك الجام بما تحويه ، قال؛ سل ياأمير المؤمنين قال، أي شيء له اسم وليست له كنية؛ وأى شيء له كنية وليس له اسم؛ قال المنارة وأبو رياح ولم يفكر في الجواب، فعجب المتوكل من سرعة خاطره واعطاه الجام بما فيه

ابو عمرة — كنية الافلاس وكنية الجوع . قال أبو فرعون الشاشي

ان ابا عمرة حل حجرتي وحل نسج العنكبوت برمتى

وقال آخر

يابن المحامين عن الاحساب ان ابا عمرة في جرابي

ألزق است بابه ببابي

فقلبه كعادة الشعراء وكان حقه ان يقول - أزق باب استه ببابي؛ وأنشد أبو عمرو لبعضهم

ان أبا عمرة شر جار يجرني في ظلم الصحاري

جر الذئاب جيفة الحمار

أبو مالك - كنية الجوع وكنية الكبر ، قال الشاعر في كنية الجوع

أبو مالك يعتادنا في الظهائر يلم فيلقى رحله عند جابر

والعرب تسمى الخبز جابرا وعاصماً وعامرا. وأنشد أبو عبيدة لبعض الاعراب في كنية الكبر

أيا مالك ان الغواني هجرنني أيا مالك اني أظنك دائباً(١)

وانما كني بهذه الكنية لانه يملك الرجل فيلزمه ولا يفارقه، وأنشد أبو عبيدة أيضاً

« ١ » أي غير زائل

Digitized by Google

بئس قرينا يفن (١) هالك أم عبيد وأبو مالك

أبو عذرة — يقال فلان أبو عذرة هذا الكلام ،أي هو الذي اخترعه ولم يسبقه اليه أحد. وهو مستعار من قولهم هو أبو عذرتها، أي هو الذي افتضها. ويقال ان المرأة لاتنسى أبا عذرتها

أبو مثوي — أبو مثواه أي صاحب رحله الذي نزل به وضافه ، يقال من أبو مثواك ؟ أي على من نزلت ؟ والمثوى النزل

أبو العجب — كنية المشعبذ، وقد قيل المشعوذ من الشعوذة وهي السرعة والخفة ولا أصل لها في العربية وهي مخاريق وخفة في اليد وتصوير للباطل في صورة الحق ، قال أبو تمام

ما الدهر في فعله الا أبو العجب

وقال ابن الرومي في البحتري

البحتري ذنوب الوجه نعلمه وما رأينا ذنوبا قط ذا أدب

اولى بمن عظمت في الناس لحيته من حاكة الشعر ان يدعى أبا العجب

أبو البيضاء — كنية الحبشي ، كما يكنى المكفوف أبا البصير. وقيل

أبو غالب ضد اسمه واكتنائه كما قد نرى الزنجي يدعا بعنبر

ويكنى أبو البيضاء واللون أسود ولكنهم جاؤا بها للتطير

أبو طريف — كنية الفرج ،وأنشد لابن أحمر

قالت فأهد لنا شيئاً نعود به فابو طريف ما عليه ازار

«١» اليفن الشيخ الكبير وأم عبيدة كنية المغارة

Digitized by Google

ويكنى أيضاً بأبي المجتبذ وأبي الزردان ، كما يكنى الذكر بأبي حميح وأبي رميح وأبي عوف

أبو قبيس — جبل بمكة قال أبو الفتح البستي

عصى السلطان فابتدرت اليه جنود يقلعون أبا قبيس

أبو ضوطره — اذا سبت العرب انسانا قالت له أبو ضوطره وأبو جاحب وأبو جحادب وأنشد

أجذعا أبا طوطري كلما تشبهت بالسادات والكبراء

أبو ليلى — كنية لمن يحمق ، وكذلك أبو دراص ، قالوا أبو زار كما قالوا في الكنية الاولى أبو امرأة ، وهما عن العرب

أبو أيوب — كنية الجمل وأبو صفوان ، قال ابن الرومي وهو يهجو أبا أيوب سليمان بن عبد الملك بن طاهر

يا أبا أيوب هذي كنية من كنى الانعام قدما لم تزل

ولقد وفق من كناكها وأصاب الحق فيها وعدل

قد قضى قول لبيد بيننا انما يجزي الفتى ليس الجمل

أبو الاخطل — كنية البغل وكذلك أبو قموص ، وقدمت بغلة الى اعرابية لتركبها فقالت : أبو قموص بغلة شحذوذ أو كما يكنى به قموص ، والشحذوذ السيء الخلق والقموص الشديد العدو

أبو زياد — كنية الحمار وكذلك أبو نافع ، قال الشاعر وهو يهجو زياد بن أبي زياد

زياد لست أدرى من أبوه ولكن الحمار أبو زياد

وأبو زياد كنية الذكر أيضاً ، قال الشاعر

تحاول ان تقيم أبا زياد ودون قيامه شيب الغراب

Digitized by Google

أبو جعدة — كنية الذئب، قال عبيد بن الابرص

هي الخمر لاشك تكنى الطلى كما الذئب يكنى أبا جعدة

يضرب مثلا لمن يبر باللسان وهو يريد بصاحبه الغوائل. ومعنى البيت ان الذئب وان كان له كنية حسنة فان فعله قبيح. وفي الحديث ان عبدالله بن الزبير سئل عن المتعة؟ فقال الذئب يكنى أبا جعدة. يريد ان أبا جعدة كنية حسنة للذئب وهو خبيث، كذلك المتعة تحسن باسم الترويح وهي فاسدة، وقال ابن شبرمة

ياخليلي انما الخمر ذئب وأبو جعدة الطلاء المريب

ونبيذ الذبيب ما اشتد منه فهو للخمر والطلاء نسيب

أبو خالد — كنية الكلب، قال ابن الرومي

أخالد لا تكذب ولست بخالد هنالك بل أنت المكنى بخالد

وللكلب خير منك لؤمك شاهد عليه وما دهري بابعاد شاهد

وهذه قطعة مما اخترته من هذه الكنى بعد أن ألغيت منها الكثير، بعضها عن العرب وبعضها عن المولدين والصوفية

الفرس أبو المضاء وكذلك أبو طالب. الفيل أبو الحجاج وبه يكني في بلاد الهند، وكانت كنية الفيل الذي جاءت به الحبشة الى مكة أبا العباس واسمه محمود، الاسد أبو الحارث، الثعلب أبو الحصين، القرد أبو ذنة وأبو قيس. الفهد أبو الوثاب، الارنب أبو نبهان، السنور أبو خداش، الديك أبو يقظان، الماء أبو غياث، السفرة أبو رجاء، الخوان أبو جامع وأبو الخير، الرقاق أبو حبيب، الثريد أبو رزين، البقل أبو جميل، الخل أبو نافع، الجوارب أبو الفرج، الجبن أبو مسافر، اللحم أبو الخصيب، الخبيص أبو الطيب، التمر أبو عون، الحلوى أبو ناجع. الفالوزج، أبو سائغ. السكباج أبو عاصم، اللبن أبو الابيض الشراب

Digitized by Google

أبو المهنا ، النقل أبو بشر ، البربط أبو الشهي ، المزمار أبو الصخب ، الطنبور أبو اللهو ، الغناء أبو شائق ، النوم أبو راحة ، السبع أبو الامن ، النكاح أبو الحركة ، الحمام أبو النظيف

الفصل الثاني

في الامهات

أم الكتاب ، أم القرى ، أم النجوم ، أم المؤمنين ، أم الحروف ، أم دفر ، أم الرأس ، أم الطعام ، أم سويد ، أم عامس ، أم حبين ، أم عوف ، أم طلحة أم ملدم ، أم المنايا ، أم قشعم ، أم طبق ، أم الخل ، أم الصبيان ، أم عبيد ، أم غيلان أم الجود ، أم الصدق

الاستشهاد

أم الكتاب — جاء في بعض الاحاديث ان أم الكتاب هي فاتحة الكتاب لانها هي المقدمة امام كل سورة تقرأ في الصلاة ، وهي أول القرآن ، ولقد ألغز الشاعر فيها فقال

وام لم تلد ولدا وليست بأم الرأس يعرفها اللبيب

وأما قول الله عز وجل — وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم — فهو ما في اللوح المحفوظ ، والله أعلم

أم القرى — اما في جزيرة العرب فهي مكة ، وأم كل ارض فاعظم بلداتها واكثرها اهلا كالبصرة فانها تسمى ام العراق . ومرو فانها كانت تسمى ام خراسان ويقال في كل قرية من امهات القرى اذا كانت كبيرة كثيرة الاهل ، وام كل شيء اصله ، ومنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ، امي لانه نسب الى ام القرى وهي مكة

Digitized by Google

ويقال: بل نسب الى العرب اي اصلهم ، وكانوا لايقرأون ولا يكتبون فقيل لكل من لايقرأ ولايكتب أمي

ام القرى — هي النار لان من اوصافها ما قال صاحب الحلل

لابد منها في الشتا والصيف لاسيما عند نزول الضيف

وانشدني ابو طالب المأموني في وصف النار

ام القرى عندك أيهذا فقدسرى بنورها اللوح

ام ذات قرط ذهبي بدا يعثيرها في الجو تطويح

فانني اخالها في دنها جسم لها وهي لهاروح

كأنها الشمس وما نفضت من شررعنها المصابيح

ام النجوم — هي المجرة ويقال بل هي السماء، قال تأبط شرا

يرى الوحشة الانس الانيس ويهتدي بحيث اهتدت ام النجوم الشوابك

ام المؤمنين — هي عائشة رضي الله عنها وكل واحدة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين لقول الله عز اسمه — النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم — ويروى ان ام اوفى العبدية دخلت على عائشة رضي الله تعالى عنها، فقالت :لها يا أم المؤمنين ماتقولين في امرأة قتلت ابنا لها صغيرا ؟ فقالت: قد استحقت النار، قالت انه اصغر مما تظنين؟ قالت قد استوجبت النار ، قالت : فما تقولين في امرأة قتلت من ابنائها الكبار ألوفا ؟ تعرض بيوم الجمل — فقالت خذوا بيد عدوة الله

ام الحروف — سمى النحويون حروف المد واللين ام الحروف وامهات الافعال عندهم فعل وجعل وانشأ واقبل

ام دفر — كنية الدنيا قال ابن الرومي في ابى الصقر

Digitized by Google

لم تظلم الدنيا وسل أم دفر اذا أنت فيها من ولاة الامر

وام خنور أيضاً كنيه الدنيا وهي من كنى الضبع، فكأن الدنيا شبهت بها لفسادها .واهل الكوفة يقولونه على وزن قيوم وسفود، واهل البصرة يقولونه على وزن عجول ، قال المبرد وكلاهما فصيحان. ولما قال عبد الملك بن مروان وقد تمكنا من ام خنور — يعني الدنيا ونعمتها وغضارتها، لم يعش بعد قوله هذا الا اسبوعا

ام الرأس — هي أعلى الهامة وموضع الدماغ من الرأس وما أحاط به، قال أبو الطيب المتنبي يصف القلم

نحيف الشوى يعدو على ام رأسه ويخفي فيقوي عدوه حين يقطع

ام الطعام — هي الحنطة لان لها فضلا على سائر الحبوب ومن أبيات كتاب الحماسة

ربيته وهو مثل الفرخ أطعمه ام الطعام ترى في جلده زغبا(١)

أي أطعمه أفضل الاطعمة، ويروى — أعظمه ام الطعام، يقول أعظم شيء في جسده وبطنه، وام الطعام البطن أيضاً

ام سويد — كنية الاست، وكذلك ام سكين وام تسعين . وسئل ابن الاعرابي عن هذا البيت

الى علماء الناس لايخبرونني بناطقة خرساء مسوا كبها حجز

فقال : هي ماعلمت ام سويد — يعني الاست —

ام عامر — هي الضبع، يقال لها : خامري ام عامري. قال الشاعر

ومن يصنع المعروف في غير أهله يلاقي الذي لاقى مجير ام عامر

(١) الزغب بفتحتين الشعيرات الصفر على ريش الفرخ

Digitized by Google

فقال آخر

ياام عمرو ابشري بالبشرى موت ذريع وجراد عطلي

أراد يقول: ياام عامر فلم يستقم له

ام حبين هي دويبة على قدر كف الانسان تأكل مادب ودرج سواها. ولذلك قال فيها من قال — لتهن ام حبين العافيه —

ام عوف — هي الجرادة، وكانت في لسان زياد الاعجم لكنة لايقيم معها الراء فالقى عليه بعض الشعراء هذا البيت

فما صفراء تكنى ام عوف كأن حبالتيها منجلان

فاجابه على البديهية

عنيت جرادة وأظن أيضاً بانك انما تعني لساني

ام طلحة — هي القملة، وزعموا ان اعرابياً كان يأكل مع بعض الامراء فدبت قملة على عنقه فاخذها وقصعها فقيل له مافعلت قال له لم يبق من ام طلحة الا خر شاؤها — أي جلدها المنسلخ —

ام ملدم — هي الحمى، وفي رقيتها الى ام ملدم التي تأكل اللحم وتشرب الدم — قال أصحاب الاشتقاق هي مأخوذة من اللدم وهو ضرب الوجه حتى يحمر. وقال بعضهم ملدم بالذال معجمة من قولهم لذم به اذا لزمه

ام المنايا — كناية عن عظم المنية، قال الشاعر

لأم المنايا علينا طريق. وللدهر فينا اتساع وضيق

وجعل بعضهم الدواة ام العطايا والمنايا، فقال

قد بعثنا اليك ام العطايا والمنايا زنجية الاحساب

في حشاها من غير حرب حراب هن أمضى من مرهفات الحراب

Digitized by Google

لا كفاء لها ولالك والله كفاء في سادة الكتاب

وقال بعضهم في الدواة

قد فتحت فاها وقالت لنا من مسه الفقر فاني دواه

وام كل شيء معظمه، قال ابن عنمة

لأم الارض ويل ما أجنت بحيث أضرّ بالحسن السبيل

ام قشعم — هي المنية والحرب والداهية الكبيرة . و بالحرب أراد زهير في قوله (لدي حيث القت رحلها ام قشعم) ويقال للحرب أيضاً ام قسطل .

ام طبق — هي الداهية الكبيرة. قال الاصمعي أول من نعى المنصور بالبصرة خلف الاحمر وكنا في حلقة يونس فجاء خلف الاحمر فسلم ولم يكن الخبر فشاتم قال — قد طرقت ببكرها ام طبق — فقال يونس وماذاك يا أبا محرز ؟ فقال — فتجوها خبراً ضخم العتق — فقال لم أدر بعد ؟ فقال — موت الامام فلقة من الفلق — فارتفعت الضجة بالبكاء والاسترجاع .ومن كنى الدواهي ام حبوكر ومن كناها ام الربيق تقول العرب جاءت ام الربيق على أريق ، قال الاصمعي تزعم العرب انه من قول رجل رأى الغول على جمل أورق (١) ومن كنى الدواهي ام خنشفير وام أوراص يقال: وقعوا في ام أوراص أي في موضع استحكام ام البلايا لان ام أوراص جحرة للفأر لا يتخلص منها اذا ارتطم فيها الا بعد جهد .فاما ام الدهيم وام اللهيم فكنيتان من كنى المنية

ام الخل — هي الخمر لان الخل منها يستحيل، وأول من كنى الخمر ام الخل مرداس بن جزام حيث قال

رميت بام الخل حبة قلبه فلم ينتعش منها ثلاث ليال

---

(١) جمل أورق أي أبيض

Digitized by Google

ام الصبيان - هي ريح تعترى الصبيان وشيء يفزع به الصبيان، قال ابن الرومي

شيخ اذا علم الصبيان أفزعهم كأنه ام صبيان وغيلان

ام عبيد - هي المغارة أنشد أبو عبيدة

بئس قرينا يفن هالك ام عبيد وأبو مالك

ام غيلان - شجرة كثيرة الشوك بالبادية قال من تأذى بها وخرقت ثيابه

ياام غيلان لقيت شرًا لقد لجعت مقترا مغبرًا

يبر بيت الله فيمن برا لاقيت نجارا يجرجرًا

بالفأس لايبقي على ماأخضرا

ام الجود - أحسن كل الاحسان بن الرومي في قوله

العرف غيث وهو منك مؤمل والبشر برق وهو منك مشيم

القحت ام الجود بعد حبالها (١) ونتجت بنت المجد وهي عقيم

ام الصدق - أنشدت للصاحب

ياأبا القاسم قل لي لم لماذا لاتزور

كنت قد قدمت وعدًا فاذن وعدك زور

ونحرت الود بالهـ ـجر كما تذكى الجزور

ان ام الصدق في الود لقلاة نزور

(صدر من هذه الكنى)

ام ثملة كنية الشمس لانها تشمل الخلق بطلوعها، ام جابر كنية السنبلة، ام الندامة كنية العجلة، ام الفضائل كنية العلم. ام الرذائل كنية الجهل،

(١) حبل النخلة حبالة صعد عليها بالحابول وهو الحبل الذي يصعد به النخل أي النخلة بعد جني ثمرها

Digitized by Google

الفصل الثالث

في البنين

ابن الماء ، ابن الليالي ، ابن ذكاء ، ابن الغمام ، ابن جلا ، ابن حلاوة ، ابن حبة ، ابن النعامة ، ابن آوى ، ابن دايه ، ابن الارض ، ابن طاب ، ابن السبيل ، ابن الخصي ، ابن طامر ، ابن بجدتها ، ابن الحرب ، ابن الغمد ، ابن ضل ، ابن الدهر ، ابنا عيان ، ابنا شمام ، ابنا سمير ، بنو غبراء ، ابناء الدهاليز ، بنو الايام ، بنو الدنيا

الاستشهاد

ابن الماء — كل طائر يألف الماء ، قال ذو الرمة

وردت اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء محلق

وقال آخر

وينذرني بسطوته وأني يخاف برودة الماء ابن ماء

وقال أبو عينية المهلبي

ياعقاب الدجن في الا من وفي الخوف بن ماء

ابن الليالي — هو القمر قال نصيب

بدأن بنا وابن الليالي كأنه حسام جلت عنه الغبون صقيل (١)

فما زلت أفنى كل يوم شبابه الى ان أتتك العيس وهوضئيل

وابن الليلة هو الهلال ، قال الشاعر

كان ابن ليلتها جانحاً فسيط (٢) لدى الافق من خنصر

(١) جلت من جلا القوم عن أوطانهم والغبون العيوب والنقائص (٢) الفسيط قلامة الظفر

Digitized by Google

ويروى كان ابن مزنتها ،معناه حين انقشعت عنه السحابة بدا كقلامة الظفر ،ومنه أخذ ابن المعتز قوله

ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا مثل القلامة قد قدت من الظفر

وقال بعض العصريين

وأرى الهلال بن الثلاث مطرزا ثوب الدجى والجوّ في زرق القضب
فكأنما فرس الامير المرتجى ألقى بروض بنفسج نعل الذهب

ومنه أخذ بن حميدين

كأنما أدهم الاظلام حين نجا من أشهب الصبح القى نعل حافره

والعرب تقول لصاحب الغارات ابن الليل، ولذلك قالت: ام تأبط شرا، وهي تندبه — وا ابناه وابن الليل — ويروي لعلي بن أبي طالب رضوان الله عليه

ماذا يريبني الليل من اهواله أنا ابن عم الليل وابن خاله
اذا دجا دخلت في سربالة

ابن ذكاء — هو الصبح وأبو ذكاء هو الشمس ، قال الراجز

فوردت قبل انبلاج الفجر وابن ذكاء كامن في وكر

ابن الغمام — هو البرد ، وقد أحسن ابن الرومي في قوله

يدوي الرجال ويشفيهم بمبتسم كابن الغمام وريق كابنة العنب

ابن جلا — هو الذي أمره منجل منكشف ،قال الشاعر

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامه تعرفوني

ومعناه انه المشهور ، وينوّن أيضاً فيقال: بن جلا قال الخارزنجي : أي أنا المعروف افتح عينك حتى تبصرني

Digitized by Google

ابن حلاوة - في كلام العرب البريء، يقال: انا من هذا الامر فالج بن حلاوة أي أنا منه ذو فلج وتخل

ابن حبة — هو الخبز يقال له جابر بن حبة ، قال بعض العصريين في سنة قحط .

لما رأيت زماننا يفتر عن كل صعبه
والقحط في اكلة النا س بالذئاب تشبه
والحب قد عزّ حتى أنسى المحب الاحبه
في حبة القلب مني زرعت حب بن حبه

ابن نعامة - هو المحجة و بنيات الطريق وصدر القدم وعرق تحت الاخمص وعظم الساق ، وكل ذلك عن الائمة، و ينشد لعنتره العبسي وهو يخاطب امرأته

ان الرجال لهم اليك وسيلة ان يأخذوك تكحلي وتخضبي
فيكون مركبك القعود و رحله وابن النعامة عند ذلك مركبي

يقول اذا أسرت أركبت قعوداً لموقعك من قلوب الرجال ، واذا أنا أسرت ركبت قدمي

ابن آوى - يتمثل به من وجهين فأحدهما ما قاله أبو نواس في ان آوى يسمع به ولا يرى قال

وما خبزه الا كآوي يرى ابنه ولم ير آوى في الحزون ولا السهل

والآخر ما قاله الآخر في صعوبة صيده ورخص ثمنه

كابن آوى وهو صعب صيده فاذا أصيد لا يساوي خردله

وقال آخر

ان ابن آوى لشديد المقتنص وهو اذا ما صيد ريح في قفص

Digitized by Google

ابن دايه — هو الغراب لانه يقع على داية البعير أي دبره فينقرها وقيل

ولما رايت النسر عزّ ابن داية وعشش في وكريه جاشت له نفسي

عنى بالنسر الشيب وبابن داية الشباب

ابن الارض — نبت يخرج في رؤس الاكام وله أصل ولا يطول وهو سريع الخروج سريع الهيج يضرب به المثل في سرعة الادراك والفناء

ابن طاب جنس من تمور المدينة، ويقول أهلها: اذا وافق الهوى الصواب فلا خوف من ابن طاب

ابن السبيل — اذا أريد المحتاز قيل ابن السبيل . وقد نطق به القرآن وقيل لاعرابي ابن تحب ان يكون طعامك؟ قال في بطن أم طفل راضع وابن سبيل شاسع أو أسير جائع أو كبير كانع(١) واذا أريد ابن الزانية قيل ابن الطريق كما قال دعبل في أبي سعيد المخزومي

عدو راح في ثوب الصديق شريك في الصبوح وفي الغبوق

له وجهان ظاهره ابن عم وباطنه ابن زانية عتيق

يسرك ظاهراً ويسوء سرا كذاك يكون أبناء الطريق

وأنشدت للفرينامى في البرسخي وقد وقع الحريق في داره

أقول ولا شماتة في الحريق أجيدي حرق دار ابن الطريق

فما أحرقت الا ما حواه بمسأله وتدنيق وضيق

وقولهم — ابن عجل (٢) عجل كناية عن اللقيط . وعجل وعجل قول الفاجرة تحث الفاجر تحثه على سرعة الفراغ

ابن الحصي — يضرب مثلا لما لا يجوز ان يكون ، كما قال أبو تمام

(١) يريد العاجز عن الاستطعام (٢) عجل عجل بصيغة الامر في الاثنين

Digitized by Google

وذاك له اذا العنقاء صارت مربية وشب ابن الخصي

ابن طامر - يقال لمن لايعرف — طامر ابن طامر وهو البرغوث أيضاً طموره(١)

ابن بجدتها - الهاء راجعة الى الارض يعنون العالم بها . قال أبو الطيب المتنبي

حتى أتي الدنيا ابن بجدتها فشكا اليه السهل والجبل

ويحكى ان اعرابياً ضاف صديقا له في الحضر فقدم اليه عصيدة تمر تنش حرارة فضرب بيده اليها فامتنعت عليه، فقال بعد ما تأملها :والله والله اني لاعلم انك هشة المزدرد ولينة المسترط (٢)وانك لتعلمين اني ابن بجدة بلادك في أهلك واني أخاف ان العود الى مثلك ستطول مدته ويتعذر وجوده فما يمنعني ان أتلقى حرارتك ببلعوم سرطم وحلقوم لحجم وبطن أكبد وجوف أرحب ويقضي الله قضاءه بما أحببت أو كرهت (٣)

ابن الحرب هو الشجاع الذي تعود الحرب والفها. وقرأت من فصل من رسالة للصاحب :ابناء الحرب الذين ذاقوا كؤوسها حلوة ومره والتحفوا لباسها مرة بعد مره ،

ابن ضل - تقول العرب لمن لايدري: من هو ومن أبوه ضل من ضل وقل من قل ،ويقولون للفلس:صلعمة بن قلعمة:قال أبو سعيد هو كقولك الاحد ابن الاحد

---

(١) مأخوذ من طمرت الشيء أطمره اذا أخبأته فهو مخبوء (٢) زرد وازدرد بلع وسرط واسترط بلع أيضا (٣) السرطم الذي يبتلع كل شيء واللحجم واللهجم على التعاقب الواسع الجوف

Digitized by Google

ابن الغمد — هو السيف لطول ملازمته اياه وقراره فيه، قال الشاعر

كأني وابن الغمد والطرف أنجم على قصدها والنجم ليس على القصد

ابن الدهر — هو النهار ،ومنه قول ابن الرومى

وما الدهر الا كابنه فيه بكرة وهاجرة مسمومة الجو قاتله

ابنا عيان — ضرب من الزجر. وهو ان يخط الناظر في أمر بأصبعه ثم بأصبع أخرى ويقول — ابنا عيان أسرعا البيان — ثم يخبر بما يرى .وهو مشتق من قولك — ارياني ما اريد عيانا —

وهذا معنى قول ذي الرمة

عشية ما لي حيلة غير انني بلقط الحصى والخط في الدار مولع

ابنا شمام — هما هضبتان في اصل جبل يقال له شمام يضرب بهما المثل في الاقتران والاصطحاب ،قال الشاعر

فهل حدثت عن اخوين داما على الايام الا ابني شمام

ابنا سمير — العرب تقول :لاافعل ذلك ما اسمر ابنا سمير ،وهما الليل والنهار وقيل الغداة والعشي . قال ابن الرومي

لابني سمير صروف غير غافلة يحسن نقضا كما يحسن امرارا

بنو الايام — هم اهل العصر . قال المطرابي من قصيدة يرثى بها ابا القاسم الاسكافي ويخاطب الدهر

ما كان ضرك لو ابقيت ذا ادب القت اليه بنو ايامك السلما

اعدمت من لست منه موجدا بدلا ما كررت يدك الايجاد والعدما

بنو الدنيا — هم الناس ،وقيل لعلي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه: اما

Digitized by Google

ترى حب الناس للدنيا؟ فقال هم بنوها، وسمعت الخوارزمي يقول :احسن ماقيل في مدح النساء قول الشاعر

ونحن بنو الدنيا وهن بناتها وعيش بني الدنيا لقاء بناتها

وأبلغ ما قيل في ذمهن قول الآخر

ان النساء شياطين خلقن لنا فكلنا يتقي شر الشياطين

على انه نقض قول من قال

ان النساء رياحين خلقن لنا فكلنا يشتهي شم الرياحين

بنو غبراء — هم اللصوص والصعاليك المهتدون في مجاهل الارض والعالمون بطرقها ، وقيل بل هم الفقراء اللاصقون بالغبراء من سوء الحال على غير غطاء ولا وطاء . قال طرفة بن العبد

رايت بني غبراء لاينكرونني ولا أهل هذاك الطراف الممدد

يقول :أنا معروف عند الاخيار والاشرار وعند اللئام والكرام

ابناء الدهاليز — كناية عن الاراذل والانذال ابناء الزواني ، قال ابن بسام

يا ابن الدهاليز وأبناء السلك ويا ابن عجل لايجي زوجي يرك

يا ابن الزنا وحدك لاشريك لك وابن البغايا والفراش المشترك

ويا ابن من لونومت فوق الحسك تحت الزناة وجدته كالفنك (١)

ابناء درزه — كناية عن السفل والسقاط ، ويقال لهم اولاد درزة ، قال المبرد:هم خياطون من اهل الكوفة خرجوا مع زيد بن علي ، قال بعض الشراة وهو حبيب بن حدرة الهلالي

(١) الفنك الذي يتخذ منه الفرو

Digitized by Google

أأبا حسين لو سرتك عصابة علقتك كان لوردهم اصدار
وأبا حسين والامور الى مدى أبناء درزة اسلموك وطاروا

الفصل الرابع

في البنات

ابنة الجبل ، ابنة الكرم ، بنت المنية ، بنت الفكر ، بنت المطر ، بنت نارين ، بنات الدهر ، بنات المنايا ، بنات البطون ، بنات الليل ، بنات الصدر بنات الماء ، بنات الفلاء ، بنات نفر ، بنات وردان ، بنات الخدود ، بنات التنانير ، بنات اللهو ، بنات العين ، بنات الارض ، بنيات الطريق

الاستشهاد

ابنة الجبل — من أمثال العرب هو ابنة الجبل ، ومعناه الصدى يجيب المتكلم بين الجبال ، يقول هو مع كل صوت كما ان الصدى يجيب كل ذي صوت بمثل كلامه . ويقال كبنت الجبل مهما تقل تقل ويقال ، ان ابنة الجبل الحية أيضاً قال أبو عبيدة

اذا اشتد الامر قيل صمى صماما وصمى ابنة الجبل

قال امرؤ القيس

بدلت من وائل وكندة عدوا ن وفيهم صمى ابنة الجبل

أراد حية لاتجيب الراقي فشبه الحرب التي لايقبل فيها الصلح بهذه الحية

ابنة الكرم — هي الخمر قال أبو نواس

صفة الطلول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم

Digitized by Google

وقال آخر

بنات الكروم تسلي الهمو م وتحيي السرور وتنفي العدم
وتبسط بالجود كف البخيـــل وتذهب من حشمة المحتشم

ويقال أيضاً ابنة العنقود، قال أبو الفتح كشاجم

حبي الحمد كان اكثر أسبا ب ذهابي بطارفي وتليدي
واعتياضي من العنا بالغواني واعتقادي هوى ابنة العنقود

وقد ظرف الصنوبري في قوله وهو يصف الديك

مغرد الليل ما يألوك تغريدا مل الكرى فهو يدعو الفتية الصيدا
مذكراً بابنة العنقود حين حكت له الثريا قبيل الصبح عنقودا

وأحسن من هذا كله قول أبو محمد الفياضي

نحن الشهود وخفق العود خاطبنا تزوج ابن سحاب بنت عنقود

وليس بالبارد قول الآخر وهو متنازع فيه

مالي ابن هم سوى شرب ابنة العنب فهاتها قهوة فراجة الكرب

بنت المنية — هي الحمى، ويقال ان أبلغ ماقيل في وصفها قول عبد الصمد بن المعذل من قصيدة أولها

هجرت الهوى ايما هجره وعفت الغواني والخمره
نوتني عن وصلها سكره كاس الضنا بعدها سكره
و بنت المنية (١) تنتابني هدوّا وتطرقني سحره
ان أوردت لم تزع وردها عن القلب حجب ولاستره
لها قدرة في جسوم الانا مرحباها بها الله ذو القدرة

(١) ابنة المنية الحمى

Digitized by Google

فقد سلبت أعظمي شربها ولم تترك من دمي قطره

وهي طويلة لايسقط منها بيت . وله أيضاً من ضادية

بنت المنية بي موكلة عقب النهار كمقتض قرضا
ألفت وفاء ليس تسأمه فترى مواصلتي به فرضا
عرفت بنافضها وشدتها لحمي ورضت أعظمي رضا
ولو انها ترمي بشكتها رضوى لذاب وارفضا

ولم يزل شعر ابن المعذل أمير ما قيل في الحمى حتى جاءت ميمية أبي الطيب فأربت عليه وقد جعلها بنت الدهر في قوله

أبنت الدهر عندي كل بنت فكيف وصلت أنت من الزحام

يقول عندي كل حادثة من حوادث الدهر ونوائبه فكيف خلصت الى جسمي من زحمة النوائب ،ولبعض أهل العصر

سئمت العيش حين رأيـ ت صرف الدهر يرهقني
صعودا والصعود اليـ ه يعجزني فيقلقني
وبنت الموت بالألا م والاوجاع تطرقني
تؤرقني تحرقني تعرقني تغرقني

بنت الفكر — هي الرأي والشعر ، قال بعض العصريين

ودونك البكر بنت الفكر قد برزت من خدرها تخدم الاستاذ سيدنا

بنت المطر — قال حمزة الاصبهاني هي دويبة حمراء ترى غب المطر والعرب تضرب بها المثل فتقول أشد حمرة من ابن المطر

بنت نارين — هي المرقة المسخنة لانها قد عرضت على نارين ، وكان بعض المترفين يقول - جنبوا مائدتي بنت نارين

Digitized by Google

وأنشدني ابو طالب المأموني لنفسه قصيدة في وصف مائدة تجمع اطايب الطعام و بدائع الالوان فمنها

لم يرض طاهيها بنقص ولا شقق في شيء ولا موّه
لا ابنة نارين أرانا ولا مصنوعة بالرفع ماسوّه

بنات الدهر — حوادثه ومصائبه، قال الشاعر

ألا مالبنات الدهر ترميني ولا ارمى

وقال آخر

رمتني بنات الدهر من حيث لا أدرى فكيف بمن يرمي وليس يرام

وقال آخر

نكحت بنات الدهر من غير خطبة فما برحت حتى سلبن سواديا

والاخطل أراد الليالي والايام ببنات الدهر في قوله

وما تبقى على الايام الا بنات الدهر والكلم العقور

وأراد بالكلم العقور الهجاء الموجع . وأحسن البحتري في قوله

متى ما نسبت الحادثات وجدتها بنات زمان أرصدت لبنيه

بنات المنايا — هي السهام قال ابن الرومي في وصف الاتراك

لهم عدة تكفيهم كل عدة بنات المنايا والقسي الموتر

بنات البطون — هي الامعاء يقال للجائع سكن بنات بطنك اذا أمر بالاكل

بنات الليل — هي الاحلام، ويقال أيضاً هي النساء ، ويقال بنات الليل أهواله ، ويقال هي المنى ، وبكلها جاء الشعر

بنات الصدر — هي مايضمره الانسان من الخير والشر . قال الشاعر

أخو ثقة يسر بحسن حالي وان لم تدنه مني قرابه

Digitized by Google

أحب الي من ألفي قريب بنات صدورهم لي مستراب

وقد ظرف من قال

بنفسي من هواه أخي وتربي له حبي رضيع بنات قلبي

وللصاحب من رسالة — زوج بنات صدرك من بني علم ، وأفرغ صوب عقلك في قمع أذني

بنات الماء — هي مايألف الماء من السمك والطير والضفادع. وقد أحسن سبدوك الواسطي في قوله

أراح الله نفسي من فؤاد أقام على اللجاجة والخلاف

ومن مملوكة ملكت أرقا ذوى الالباب بالخدع اللطاف

كأن جوانحي شوقا اليها بنات الماء ترقص في جفاف

وجعل بن الرومي السمك بنات دجلة في قوله

أبنات دجلة في بيوتكم مأسورة في كل معترك

بنات الفلاء - هي الابل يقطع بها الفلاء ، قال الشاعر

اليك أمين الله جابت بنا الفلا بنات الفلا في كل برّ وفدفد

فامابنات القفر فالوحش

بنات بحر - سحائب تنشأ من بخار البحر فتجوز البر ، وبنات بحر سحائب لاتجوز الى البر ، ولذلك قيل بنات بحر خير من بنات بحر

بنات وردان — هي دويبات تلزم الكنف ، وأنشد الصاحب ليلة في مجلس قد تأذى فيه برائحة كريهة

فماعدمنا من الكنيف وقد قعدنا الابنات وردان

بنات الخدور - هي العذارى ، ويقال لهن أيضاً بنات الحجال

Digitized by Google

بنات التنانير ــ هي الرغفان . وقيل لاعرابي قدم الحضر فاضافه بعض المياسير : أين كنت اليوم و بما أشغلت ؟ فقال : كنت والله عند كريم خطير أطعمني بنات التنانير وامهات الابازير وحلواء الطناجير (١) ثم سقاني رعناء القوارير من يدغزال غرير

بنات اللهو ــ وهي الاوتار ، قال البحتري

تلقين الشتاء به وزرنا بنات اللهو اذ قرب المزار

وقال بن الرومي

يهنيك ان الفطر حين بدا نشر السرور به من الرمس

نطقت بنات اللهو فيه معا من بعد بعد الصوت والهمس

بنات العين - هي الدموع، قال ابن الرومي يرثي الشباب

تذكرته والشيب قد حال دونه فظلت بنات العين مني تحدّر

بنات الارض ــ هي الاجواف التي تحتجب عنك، وقيل بل عروق الارض يقطر منها الماء و يصير اليها الوحش في القيظ فيترشفها و يقتصر عليها دون ورود الماء ، قال ثعلب: بنات الارض هي الانهار الصغار

بنيات الطريق ــ هي الصعاب والمعاسف، يقال للرجل اذا وعظ : الزم الجادة ودع بنيات الطريق، وقال محمود الوراق

تنكب بنيات الطريق وجورها فانك في الدنيا غريب مسافر

(١) الابازير التوابل والطناجير الاواني النحاس والرعناء الحمقاء . أي حمضت بالتعتيق يريد بها الخمرة

Digitized by Google

الباب التاسع عشر

في الاذواء والذوات

اذواء اليمن ، ذو الاوتاد ، ذو القرنين ، ذو الكفل ، ذو النورين ، ذو الشهادتين ، ذو العينين ، ذو الرأي ، ذو اليدين ، ذو السيفين ، ذو المشهرة ، ذو النور ، ذو العمامة ، ذو اليد ، ذو اليمين ، ذو الثفنات ، ذو القلمين ، ذو الرياستين ، ذو الوزارتين ، ذو الكفايتين ، ذات التحيين ، ذات النطاقين ، ذات الخمار ، ذات الانواط

الاستشهاد

أذواء اليمن - هم ملوكها واياهم عني أبو نواس بقوله

ودان ذوونا البرية من معزها رغبة وراهبها(١)

فمنهم ذو شناتر ولم يكن من أهل بيت الملك ولكنه من ابناء المقاول ، وكان فظا غليظ القلب . وكان مع ذلك لا يسمع بغلام نشأ من أبناء المقاول الا بعث اليه واستحضره فعبث به وأفسده (٢) ويقال انه بعث الى غلام منهم يقال له ذو نواس لانه كانت له ذؤابتان تنوسان على عاتقيه وبهما سمي ذا نواس ، فادخل عليه ومعه سكين لطيفة ، فلما دنا منه وعلم انه يريد منه الفاحشة شق بها بطنه واجتز رأسه ، فلما بلغ حمير ما فعل ذو نواس قالوا : ما نرى أحدا أحق بالملك ممن أراحنا منه ، فملكوا ذا نواس وهو صاحب الاخدود الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز وهو الذي لما تهود تهود معه امم من الناس — ومنهم

(١) الراهب من الرهبة هو المرهوب الخائف (٢) يعني انه يفعل به منكرا

Digitized by Google

ذو المنار. وقيل له ذو المنار لانه أول من ضرب المنار (١) على طرقه في غدواته ليهتدي به في مرجعه، ومنهم ذو رعين — يضرب به المثل في النعمه كما قال العلوي الحماني

ويوم قد ظللت قرير عين به في مثل نعمة ذو رعين
تفكهني أحاديث الندامى وتطربني مثقفة اليدين
فلولا خوف ماتجنى الليالي قبضت على الفتوة باليدين

ومنهم ذو مرحب، سمي بذلك لانه كان يرحب به كل من رآه وكان رحب الصدر والباع هشاً بشاً، ومنهم ذو يزن وابنه سيف الذي انتزع الملك من الحبشة، وقد تمثل به من قال لعبد الله بن طاهر

وأنت أولى بتاج الملك تلبسه من هوذة بن علي وابن ذي يزن

ذو الاوتاد — هو من ذكره الله تعالى في كتابه العزيز، وكان يأمر بمن يغضب عليه فيؤتد في الارض باربعة أوتاد وهو اول من سن ذلك

ذو القرنين — قال الجاحظ في كتاب «التدوير والتربيع» ولقد سألت عن ذي القرنين أهو الاسكندر؟ ومن أبوه؟ فقال القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني في الجواب عن ذلك وشرحه: قال أكثر من بحث عن سالف الامور وتصفح ما حدث منها في متقادم العصور ان التسمية بذي القرنين لا تعرف في غير هذه اللغة ولا يوجد منها علم الا عند هذه الامة ومتى سمعنا غيرهم ينطق بها ووجدنا بعض الامم يذكرها فبحثنا عن أصلها ومأخذها وسألناهم عن معناها وتأويلها أصبناها راجعة اليهم وأحلنا في الاسناد عليهم، قالوا ولم نعثر على كثرة التفتيش والتكشيف وشدة الطلب والتنقير من ملوك

(١) المنار علم يوضع على الطريق

Digitized by Google

الامم وأولياء الدول وقادة الجيوش وساسة الجنود ممن ارتفع فشهر أو حمل فغمر — عمن لزمه هذا الاسم أو حصل له معناه أو استحقه بلازم خلقة أو مستجد صفة - فأما نحن فقد وجدنا في التواريخ القديمة المأخوذة عن السريانية واليونانية ان ضاميرس وهو الثالث من ملوك بابل خرج عليه أطركسركس فحاربه وظفر به فقتله ونزع قرني رأسه فجعلها اكليلا يلبسه فسمي ذا القرنين فهذا كما تراه تسمية مأخوذة من الامم السالفة منقولة عن تلك اللغة الى هذه .على ان العرب قد سمت بها من ملوكهم نفرا وخصت بها هذا الملك السائح الذي ورد القرآن بذكره واجتمعت الانس على تفخيم قدره ، وسنذكر ماحفظناه في سبب هذه التسمية ونستوفي ما عندنا في صاحبها وما انتهى الينا في حقيقة المسمى بها ونقول فيه على تفصيل الاختلاف والتميز بين ملك الاقوال قولا ان لم يكن شافياً فعساه ان يكون كافياً، وما علينا الا الجهد وفوق كل ذي علم عليم ، قال الله تعالى - ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو -- الآية المتضمنة خبره فوصف هذه الجملة من أحواله في تقلبه وانتقاله ومنتهي مسيره في الشرق ظاعنا وغاية مبلغه من الغرب واغلاً ،ودل على عظم ملكه وشدة وطئه وعلو كلمته وانبساط قدرته بما عدّ من آثاره وقص علينا من أخباره،وأكد ذلك وحققه بقوله تعالى — اذ مكنا له في الارض وآتيناه من كل شئ سببا - وحسبك بمن شهد الله له بالتمكين والاقتدار وناهيك بمن أتاه الله جوامع الاسباب ووطأ له أباعد الاقطار.وقد روي في تفسير هذه الآية ان المشركين من قريش أوفدوا وفدا الى يهود يثرب يستمدونهم مسائل فيمتحنون بها النبي صلى الله عليه وسلم، واعتمدوا من المسائل على قصص الانبياء واخبار الملوك لعلمهم بانه لاحظ للعقل والذكاء وحدة الفطنة وقوة الفكر وتمثيل الاعتبار والمقايسة وانعام النظر والتأمل في

Digitized by Google

استدراك خبر تقدم زمانه بساعة بل سبق وقته بلحظة ، وانما هي امور تؤخذ رواية وسماعا وتدرك قراءة وكتابة، وقد رأوه عليه السلام ولد بمكة في أمة أمية و بين قبائل جاهليـة فعرفوه طفلا رضيعاً وناشئاً و يافعا وشاهدوه غلاما ومجتمعا وكهلا ومحتنكا. يدرج بين أبياتهم و يتصرف نصب الحاظهم و يتكلم بما عرفوه من الفاظهم ،وان هذه أحوال تحجز بينه و بين التهمة وتباعده عن مواقع الظنة، وتحقق عند من له من العقل بلغة وفيه من التحصيل مسكة انه عليه الصلاة والسلام ان عرف ذلك على حقه وأخبر عما علمت الرواة من غيبه فانما تلقاه عن الله وحيا أو القاه الملك في روعه نفثاً وذلك علامة النبوة التي لاتجهل وامارة الرسالة التي لاتنكر، فزودتهم يهود بثرب مسائل منها خبر رجل صار مشرقا حتى بلغ مطلع الشمس حيث تبزغ، وتوجه مغرباحتى بلغ مغربها حيث تجب(١) وتسقط هكذا ذكره الرواة وانما المراد بها منتهى العمارة من طرفي الارض. وسألوه عن قصة يوسف وعن فتية أووا الى كهف فأميتوا ثم أحيوا .فأتاه الجواب من قبل الله تعالى في كل ذلك بما أقام به علم صـدقه ورد الكائد بأخيب ظنه . وقد روى المفسرون والقصاص في تأويل هذه الآيات اخبارا لم نجد في نقلها طائلا اذ كانت النفس لاتثق بخبرهم ولا تسكن الى صحة نقلهم ، وكان اختلافهم يدل على اختلاطهم ، وهي على ذلك مشهورة يمكن أخذها عن قرب . وقد روى المحدثون عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: لاأدري أذو القرنين كان نبيا أم لا . ورووا عنه انه قال: ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان وذو القرنين، وأما الكافران فنمرود وبخت نصر . ورووا عن علي وقـد

(١) تجب من وجبت الشمس أي غربت

Digitized by Google

سئل عن ذي القرنين فقال: ذلك الملك الامرط (١) بلغ قرن الشمس من مطلعها وقرنها من مغربها . وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا ينادي : ياذا القرنين فقال فرغتم من أسماء الانبياء وارتفعتم الى أسماء الملائكة، فتناوله قوم وزعموا ان ذا القرنين كان من نتاج ما بين الملائكة والانس، وان أباه ملك عبري أهبط الى الارض فسلخ جناحه وأعيد في صورة ولد ابن آدم فنكح امرأة من الآدميات تدعى قبرى فأولدها ذا القرنين. وقد ادعوا مثل ذلك في هاروت وماروت وأبي جرهم . وهي من حماقات العوام غير مستنكر . وروي عن الحسن انه قال : كان له غديرتان من شعر وعليها سمي ذا القرنين . وعن محمد بن علي ابن الحسين رضي الله عنهم انه قال : الانبياء والملوك أربعة يوسف ملك مصر وداود وسليمان ملكا ما بين الشام الى اصطخر، وذو القرنين ملك ما بين المغرب والمشرق . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال: حج ذو القرنين فلقي ابراهيم وهذا يدل على تقادم عهده . وقد روي من جهات كثيرة ان ذا القرنين كان في زمن ابراهيم عليه السلام في عصر افريدون ، وتلك تواريخ لا يوثق بها والذي نقل الينا في التواريخ اليونانية والسريانية وهي أقرب الى الثقة يقتضي ان بينهما زمانا طويلا يزيد على الف سنة . وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه: ان ذا القرنين هو عبد الله بن الضحاك، وهذه رواية مهجورة لا تلتفت العقلاء اليها ، ولسنا ننكر ان يكون عبد الله بن الضحاك هذا يدعى ذا القرنين فهو اسم مشترك ولقب منقول، وقد سمي أحد ملوك الحيرة من بني نصر ذا القرنين لضفيرتين من شعر كانتا له، وهو المنذر بن ماء السماء . وفي ملوك حمير ملكان

---

(١) الامرط أي صاحب المرط بكسر الميم واحد المروط وهي أكسية من صوف أو خز كان يؤتزر بها

Digitized by Google

كانا يدعي كل واحد منهما ذا القرنين، وانما تنكر ان يكون ملكا سلطانا اذ كنا نجد أخبار الامم تكذبه. وكان هذا الامر البين لا يخمل فيخفى على العرب شأنه وهي ألهج أمة بحفظ المآثر وأحرصها على احصاء المفاخر. وزعم بعض الفرس ان ذا القرنين هو الضحاك المسمى بيوراسف، وان قرنيه هما السلعتان اللتان تسميهما العامة حيتين وكانتا ناشذتين في فروع كتفيه. وهذا أبعد شيء عن الصواب ولكن الاراء والالسن واللغات والفرق مطبقة على ان ذا القرنين هذا هو الاسكندر الرومي قاتل دارا. وقد نقل الينا من أخباره بعض المطابقة لما اقتص الله تعالى في كتابه، والذي يقوي هذا الرأي اجماع رواة الامم على ان السد الذي يدعى ردم يأجوج ومأجوج من صنع الاسكندر، وانه لم ينقل الينا خبر ملك جمع بين الايغال في المشرق والابعاد في المغرب سواه. وهذه جملة من سيره مأخوذة من تواريخ يونان وفارس. وأما روايات القصاص وأهل المبتدأ فمرفوضة عند أهل التحصيل. زعمت يونان انه لما ولد الاسكندر عرض مولده على المنجمين فحكموا له بما آل اليه أمره، وترعرع الاسكندر فهجس في نفسه صدق ما حكموا له به، وهلك أبوه فيلفس وللاسكندر عشرون سنة، فخلفه على ملكه فركب البحر يؤم المغرب فوطئ أرضه حتى انتهى الى اقاصيها، ثم رجع على طريق افريقية ومصر والشام متوجها الى المشرق حتى قتل دارا واستولى على ممالكه وسار حتى اوغل في المشرق فقتل فورا ملك الهند واقام ببلاده مدة، ثم سار حتى اتى تبت فدان له ملكها وأهدى له شيئاً كثيرا من الذهب والمسك ثم سار حتى أتى الصين فتلقاه ملكها بالطاعة واهدى له هدايا عظيمة من الذهب والحرير والوبر وانواع العطر وآلات الصين، وعدل الى نواحي يأجوج ومأجوج فبنى السد ودخل الظلمات من ناحية القطب الشمالي في أربعمائة رجل

فسار فيها ثمانية عشر يوما ، وخرج الى طريق خراسان، ولما انتهى الى نهر بلخ عقد عليه جسرا من ثلثمائة سفينة وبنى على غربيه قصرا فاغتاله بعض اصحابه فسقاه سما فمرض بقومس وتحامل حتى أتى شهرزور وثقل بها وهلك ببابل العتيقة ،وكان اشقر ابرش قصيرا احنف (١)وابتدأ اليونانيون تاريخ ملكه من اول سنة سبع وعشرين من سنى عمره وهو وقت ابتداء جولانه ، فكانت مدته بذلك احدي عشرة سنة وثلثمائة وستة وعشرين يوما — ولم يكن يدعو الى دين وانما كان يأمر بالتناصف وترك التظالم — الى هنا كلام القاضي . وقال حمزة الاصبهاني في كتابه كتاب « تواريخ الامم » ومما ولده القصاص من الاخبار ان الاسكندر بنى بارض ايران مدنا منها اصبهان وهراة وسمرقند ، وليس للحديث اصل لان الرجل كان مخربا لا عامرا. قال مؤلف الكتاب: وفي اصبهان وكونها من بناء ذي القرنين يقول ابن طباطبا لابي علي بن رستم وقد هدم سور اصبهان ليزيد به في داره

وقد كان ذو القرنين يبني مدينة ... فأصبح ذا القرنين يهدم سورها
على انه لو كان في صحن داره ... بقرن له سيناء زعزع طورها

وقال آخر

أيها الهادم سورا ... هدمه عين المنون
ليس يوهي سور ذي ال ... قرنين الا ذو قرون

وقد ضرب المثل بمسير ذي القرنين في الظلمات ابن التكل حيث قال

تولى شباب كنت فيه منعما ... تروح وتغدو دائم الفرحات
فلست تلاقيه ولو سرت خلفه ... كما سار ذو القرنين في الظلمات

(١) أبرش كابرص وزنا ومعنى أي به بياض وأحنف أي برجله اعوجاج الى الداخل

Digitized by Google

ذو الكفل - هو الذي نطق القرآن بذكر نبوته ، وهو من بني اسرائيل بعث الى ملك منهم يقال له كنعان فدعاه الى الايمان وكفل له الجنة وكتب له كتاباً بالكفالة ،فآمن به الملك وسمي ذا الكفل بالكفالة

ذو النورين - هو عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه . سمي بذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم زوجه ابنته رقية فكانا أحسن زوجين في الاسلام ويروى انه بعث عليه السلام بلطف(١)مع رجل الى عثمان فاحتبس،فلما رجع قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان شئت أخبرتك ماحبسك؟ قال نعم يارسول الله، قال كنت تنظر الى عثمان ورقية تعجبا من حسنهما ، قال صدقت يارسول الله ، ولما توفيت رقية زوجه عليه السلام أم كلثوم ، ثم لما توفيت، قال: لو كانت لنا ثالثة لزوجناكها ، فهو ذو النورين لهذه القصة . ودخل يوما أبو الحسن بن طباطبا دار أبي علي بن رستم فرأي على بابه عثمانيين أسودين قد لبسا عمامتين حمراويين فامتحنهما فوجدهما من الادب خاليين ، فلما تمكن في مجلس ابن رستم دعا بالدواة والقرطاس وكتب

أرى بباب الدار أسودين ذوي عمامتين حمراوين
كجمرتين فوق فحمتين قد غادرا الرفض قرير العين
جدكما عثمان ذو النورين فماله أنسل ظلمتين
يافبح شين صادر عن زين حدائد تطبع من لجين
ما أنتما الا غرابين طيرا فقد وقعتما للحين
المظهرين الحب للشيخين ذرا ذوي السنة في المصرين
وخليا الشيعة للسبطين للحسن الطيب والحسين

(١) اللطف بفتحتين البر والهدية يقال جاءتنا لطفة من فلان أي هدية

Digitized by Google

ستعطيان في مدى عامين صكا يخفين الى حنين

فاستظرفها ابن رستم وتحفظها الناس

ذو الشهادتين — خزيمة بن ثابت الانصاري ،سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا الشهادتين وذلك ان يهودياً أتاه فقال يامحمد أقضني ديني ، فقال عليه السلام أو لم أقضك ؟قال لا، فقال:ان كانت لك بينة فهاتها :وقال لاصحابه أيكم يشهد اني قضيت اليهودي ماله ،فامسكوا جميعاً ؟فقال خزيمة أنا يارسول الله أشهدك انك قضيته،قال وكيف تشهد بذلك ولم تحضره ولم تعلمه ؟فقال يارسول الله نحن نصدقك على الوحي من السماء فكيف لانصدقك على انك قضيته؟ فانفذ عليه السلام شهادته وسماه ذا الشهادتين لانه عليه السلام صير شهادته شهادة رجلين

ذو العينين — قتادة بن النعمان الانصاري شهد بدرا والعقبة وأصيبت عينه يوم أحد فردها رسول الله عليه وسلم بيده بعد ماسقطت على خده فكانت أحسن وأصح من عينه الاخرى وكان لايشتكيها اذا اشتكى أختها ،وليس هكذا عيون الناس

ذو الرأي — هو حباب بن المنذر بن الجموح صاحب المشورة يوم بدر أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيه ونزل جبريل عليه السلام فقال:الرأي ماقال حباب، وكانت له في الجاهلية أراء مشهورة

ذو اليدين — هو عمير بن عبد عمرو من خزاعة . وكان يعمل بيديه جميعاً فقيل له ذو اليدين. وكان يدعى ذا الشمالين. وهو الذي ذكر في الحديث الذي يروي فيه ان رسول الله صلى الله عليه صلى بهم الظهر فسلم في الركعة الثانية فقال ذو اليدين: يارسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فقال ما كان ذاك، فقال

Digitized by Google

بلى يارسول الله، فالتفت الى أصحابه فقال: أحق مايقول ذو اليدين؟ قالوا صدق يارسول الله ، فنهض فأتم ثم قال : اني لانسى أو أنسى لأسن : قال ابن قتيبة هذا ذواليدين وليس هو ذو الشمالين الذي استشهد يوم بدر . وقال الجاحظ كان يقال ذو الشمالين فسماه عليه السلام ذا اليمينين

ذو المشهرة — هو أبو دجانة الانصاري. وكانت له مشهرة ان لبسها و برز يتمايل بين الصفين لم يبق ولا يذر وأرضى الله و رسوله

ذو النور — هو عبد الله بن الطفيل الازدي او الدوسى . ويقال بل طفيل ابن عمرو بن طفيل، أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نورا في جبينه ليدعو به قومه ،فقال يارسول الله هذه مثلة ، أو قال شهرة ، فجعله في طرف سوطه فكان كالمصباح يضيء له الطريق بالليل ، ولما رجع الى قومه دوس ليعلمهم جعلوا يقولون ان الجبل ليلتهب . وكان أبو هريرة رضي الله عنه ممن اهتدى بذلك النور في بعض الحديث

ذو العمامة — هو سعيد بن العاص بن أمية بن أحيحة، كان يقال له ذو العمامة لانه كان في الجاهلية اذا لبس عمامته لم يلبس قرشي عمامة حتى ينزعها ، كما ان حرب بن أمية اذا حضر ميتاً لم يبكه أهله حتى يقوم ،وكما ان أباطالب اذا أطعم لم يطعم أحد غيره ،وكما ان السيد بن أبي العيص اذا شرب الخمر لم يشربها أحد حتى يتركها، وزعم بعض أصحاب المعاني ان هذا اللقب انما لزم سعيداً كناية عن السؤدد،وذلك ان العرب تقول للسيد — فلان معمم — يريدون ان كل جناية يجنبها الجاني من تلك العشيرة فهي معصوبة برأسه، والى هذا المعنى ذهبوا في تسميتهم سعيد بن العاص ذا العمامة وذا العصابة .ولما طلق خالد بن معاوية آمنة بنت سعيد بن العاص وتزوجها الوليد بن عبد الملك قال في ذلك خالد

Digitized by Google

فتاة أبوها ذو العصابة وابنه أخوها فما اكفاؤها بكثير

وكان خالد شريف المنكح تزوج أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وآمنة بنت سعيد بن العاص ورملة بنت الزبير. ففي ذلك يقول بعض الشعراء يغرى به عبدالملك بن مروان

عليك أمير المؤمنين بخالد ففي خالد عما تحب صدود

اذا ما نظرنا في مناكح خالد عرفنا الذي ينوي وأين يريد

ذو الثدية — ويقال له ذو اليدلان احدى يديه كانت مخدجة . وذوالثدية لان تلك اليد المخدجة(١) كانت كالثدي وعليها شعرات كشارب السنور ،وهو شيخ الخوارج وكبيرهم الذي علمهم الضلال. وكان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتله وهو في الصلاة فكعّ(٢) عنه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ،فلما قصده علي رضي الله عنه لم يره ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: اما انك لو قتلته لكان أول فتنة وآخرها ، ولما كان يوم النهروان وجد بين القتلى فقال علي رضي الله عنه : ائتوني بيده المخدجة . فأتى بها فأمر بنصبها

ذو اليمينين — هو أبو الطيب طاهر بن الحسين بن مصعب الذي تنسب اليه الطاهرية .وكتب اليه بعض أصحابه كتاباً عنونه بهذين البيتين

للامير المهذب المكني بطيب

ذي اليمينين طاهر بن الحصين بن مصعب

وسأل المعتصم جماعة من خواصه عن معنى سبب تسمية طاهر ذا اليمينين فلم يعلموا، فقال محمد بن عبد الملك ذو الاستحقاقين استحقاق ماجده زريق في

(١) اليد المخدجة الناقصة الخلق (٢) كع عن الفعل يكع بالكسر أي هاب وتجاين عن اتيانه

الدولة واستحقاق ماله في دولة المأمون ، قال تعالى — لاخذنا منه باليمين أي بالاستحقاق وقال الشماخ

اذا مارايةٌ رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

أي بالاستحقاق واليمين بمعنى الاستحقاق — وقال غيره انما سمي ذا اليمينين لان المأمون كتب اليه لما فرغ من أمر المخلوع: يا أبا الطيب يمينك يمين أمير المؤمنين وشمالك يمين فبايع بيمينك يمين أمير المؤمنين . فلزمه هذا الاسم

ذو الثفنات - كان يقال لكل من علي بن الحسين بن علي وعلي بن عبد الله ابن العباس ذو الثفنات لما على اعضاء السجود منهما من السجادات الشبيهة بثفنات الابل وذلك لكثرة صلاتهما. قال دعبل

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

ديار علي والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذي الثفنات

قال المبرد: وكانت لعلي بن عبد الله بن العاص رضي الله عنهم خمسمائة أصل زيتون يصلي كل يوم عند كل اصل ركعتين

ذو القلمين — علي بن ابي سعيد بن كنداجيق. كان يسمى ذا القلمين لانه كان يتولى ديواني الخراج والجيش للمأمون

ذو الرياستين - هو الفضل بن سهل ، سماه المأمون ذا الرياستين لانه دبر له أمر السيف والقلم وولي رياسة الجيوش والدواوين . وقد أوردت نكت أخباره في كتاب « فضل من اسمه الفضل »

ذو الوزارتين — كانوا قد عزموا على ان يسموا صاعد بن مخلد ذا التدبيرين فقال لهم عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : لاتسموه بشيء يتفرد به عنكم فسموه ذا

Digitized by Google

الوزارتين ، يعنون وزارة المعتمد ووزارة الموفق . ومدح ابن الرومي بني توبخت وكانوا مختصين بصاعد فاراد أن يذكر ذا الوزارتين واجتبائه اياهم فلم يستقم له ذكر ذي الوزارتين فسماه ذا الفناءين حيث قال

ولما اجتباهم ذو الفناءين صاعد غدا وهو مسرور بهم غير نادم

ذو الكفايتين — هو أبو الفتح بن أبي الفضل بن العميد، سمي ذا الكفايتين لكفايته ركن الدولة أبا علي امور الدواوين والجيوش، وقد أوردت نكت اخباره وغرر أشعاره في كتاب « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر »

ذات النحيين — هذلية جرى بها المثل في الشغل والشح فقيل :أشغل من ذات النحيين ،ومن حديثها ان خوات بن جبير الانصاري في الجاهلية حضر سوق عكاظ فانتهى الى هذه المرأة وهي تبيع السمن فاخذ نحياً (١) من أنحائها ففتحه ثم ذاقه ورفع النحي في احدى يديها ثم فتح نحياً آخر ودفع فمه في يدها الاخرى ثم كشف ذيلها وواقعها وهي عاجزة عن ممانعته بحفظ فم النحيين ولم تدفعه خوفاً على السمن حتى قضى حاجته ،فلما قام عنها قالت له لاهناك الله ورفع خوات عقيرته فقال

وام عيال واثقين بكسبها خلجت لها جاراتها خلجات
وأخرجته ريان يقطر رأسه من الرامك المخلوط بالمغرات
شغلت يديها اذ أردت خلاطها بنحيين من سمن على عجرات(٢)
فكان لها الويلات من ترك نحيها وويل لها من شدة الطعنات

(١) النحي زق للسمن والجمع انحاء (٢)عجرت المرأة واعتجرت شدت المعجر بكسر الميم وهو شيء تشد به المرأة رأسها والاعتجار أيضاً لف العمامة فهو يقول شغلت يديها بنحيين جعلتهما قرب رأسها

Digitized by Google

فشدت على النحيين كفي شحيحة على سمنها والفتك من فعلاتي

فضربت بهما المثل العرب فقالوا: انكح واغلم من خوات، واشغل واشح من ذات النحيين — والرامك ضرب من الطيب والمغرة من الطين تتضايف بها نساء العرب كما يتضايفن بعجم الزبيب —

ذات النطاقين — هي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكانت تحت الزبير رضي الله عنه ومنها عبدالله والمنذر وعروة وعاصم ، وانما سميت ذات النطاقين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تجهز مهاجرا ومعه أبو بكر أتاهما عبد الله بن أبي بكر وهما في الغار ليلا بسفرتهما(١) ومعه أسماء وليس للسفرة شناق فشقت له أسماء من نطاقها فشنقتها به . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة، فقيل لها ذات النطاقين : ولما قاتل أهل الشام عبد الله بن الزبير بمكة كانوا يصيحون به يا ابن ذات النطاقين. وهو يقول: ابنها أنا والله، ثم ينشد

وعيرها الواشون اني أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

فان اعتذر عنها فاني مكذب وان تعتذر يردد عليها اعتذارها

وكان يقال : لو كان أبناء أبي بكر كبناته لعز على عمر نيل الخلافة ، لان عائشة صاحبة يوم الجمل، واسماء هي التي حصنت ابنها عبدالله بن الزبير على صدق القتال والجد في المكافحة والتحصن بالكعبة ، ولما قال لها عبدالله وقد اشتد به الامر في محاصرة الحجاج اياه: يا امّ اني لا أخاف القتل ولكن أخاف المثلة ، فقالت يا بني ان الشاة المذبوحة لا تبالي السلخ فسار قولها مثلا ، ولما قتل عبدالله وصلب تقدمت أسماء الى الحجاج فقالت له: يا حجاج أما آن لراكبك أن ينزل ؟ فأمر بانزاله . وكان

(١) السفرة بالضم جلد يوضع فيه طعام يتخذ للمسافر

Digitized by Google

عبدالله يسمى العائذ لانه عاذ بالبيت، ولما حبس عبدالله بن الحنفية في خمسة عشر رجلا من بني هاشم وقال لتبايعني أولا حرقنكم، قال كثير فيه

تخير من تلقاه انك عائذ ... بل العائذ المحبوس في سجن عارم

وانك آل المصطفى وابن عمه ... وفكاك أغلال وقاضي مغارم

وسجن عارم الذي حبسهم فيه سمي بذلك، وقال ابن الرقيات في مكة

بلد يأمن الحمائم فيه ... حيث عاذ الخليفة المظلوم

وكان عبدالله يدعى المحل لاحلاله القتال في الحرم، وقال شاعر في رثاء صاحبه

ألا من لقلب معنى غزل ... يحب المحلة اخت المحل

ذات الخمار - هنيدة بنت صعصعة عمة الفرزدق. وكانت تقول: من جاءت من نساء العرب باربعة يحل لها أن تضع خمارها عندهم كار بعتي فصر متى لها(١) أبي صعصعة وأخي غالب وخالي الاقرع بن حابس وزوجي الزبرقان بن بدر، فسميت ذات الخمار لذلك. قال الزبير بن بكار كان هند بن أبي هالة ربيب النبي صلى الله عليه وسلم يقول: انا أكرم الناس أربعة أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وامي خديجة واختي فاطمة واخي القاسم. قال الزبير: فهؤلاء الاربعة لا أربعتها

ذات الانواط - شجرة عظيمة خضراء كانت قريش ومن سواهم من الكفار من العرب يأتونها كل سنة فيعلقون عليها أسلحتهم ويذبحون عندها ويقومون عندها يوماً. حدث وهب بن جبير باسناده عن أبي واقد الليثي قال: لما وصلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين مررنا بها فلما رأينا السدرة (٢) ونحن يومئذ حديثو عهد بالجاهلية فسار بنا من جانب الطريق، فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات

(١) الصرمة بكسر الصاد العزيمة فكانها تقول فتكون قد فخرتني (٢) السدرة واحدة السدر شجر النبق

Digitized by Google

أنواط(١) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر هذا والله كما قال قوم موسى لموسى — اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون — أما انكم لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل(٢)

الباب العشرون

(في ذكر النساء المضافات والمنسوبات يتمثل بهن)

بنات طارق ، بنات الحارث بن هشام ، بنات نصيب ، بنت الحارث بن عباد، زرقاء اليمامة، عجائز الجنة، عجوز اليمن ، حمالة الحطب ، خضراء الدمن، زواني الهند، صواحب يوسف ، ضرائر الحسناء

الاستشهاد

بنات طارق — ذكر الزبير بن بكار باسناد له انهن بنات العلاء بن طارق ابن الحارث بن امية بن عبد شمس بن المرقع من كنانة ، يضرب بهن المثل في الحسن والشرف. وعن محمد بن يحيى عن غسان بن عبد الحميد قال: رأت عائشة رضي الله عنها بنات طارق اللاتي يقلن

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

فقالت أخطأ من يقول ان الخيل أحسن من النساء. وقالت هند بنت عتبة لمشركي قريش يوم أحد

نحن بنات طارق نمشي على النمارق والدر في المخانق والمسك في المفارق
ان تقبلوا نعانق أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

(١) أي بدل ذات الانواط تلك (٢) لم يذكر المؤلف ذا السيفين وقد أشار اليه في أول الباب

Digitized by Google

وعن يحيى بن عبد الملك قال : جلست ليلة وراء الضحاك بن عثمان المخزومي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا متقنع، فذكر الضحاك وأصحابه قول هند يوم أحد — نحن بنات طارق — فقالوا ماطارق ؟ فقلت لهم النجم، فالتفت الضحاك فقال أبازكريا وكيف بذلك ؟ قلت قال الله تعالى - والسماء والطارق وما أدراك ماالطارق النجم الثاقب — وانما قالت نحن بنات النجم لشرفه وعلوه، فقال أحسنت

بنات الحارث بن هشام — يضرب بهن المثل في الحسن والشرف وغلاء المهر، وأبوهن الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومي . قال الجاحظ بنو مخزوم ضرب بهم المثل ووصفوا في كل غاية ، فقيل : أتيه من مخزومي ، وكانت قريش وكنانة ومن والاهم يؤرخون بثلاثة أشياء ، كانوا يقولون : كان ذلك من بناء الكعبة. وكان ذلك عام الفيل ، وكان ذلك عام موت هشام ، قال عبد الله بن ثور الحفاجي

فاصبح بطن مكة مقشعرا كأن الارض ليس بها هشام

قال الجاحظ : وهذا مثل فوق المثل ، وقال مساحر بن أبي عمرو

تقول لنا الركبان في كل منزل أمات هشام أم أصابكم جدب

فجعل موته وفقد الغيث سواء ، وكانت بنو مخزوم تسمى ريحانة قريش لحظوة نسائها عند الرجال ، وكانت الجارية تولد لاحد آل الحرث بن هشام فتتباشر النساء بها، ويرى أهلها انهم أغنياء لرغبة الخطاب فيها، ولذلك قال ابن هرمة من قصيدة

ومن لم يرد مدحي فان قصائدي توافق عند الاكرمين سوام(١)

توافق عند المشترى الحمد بالندى نفاق(٢) بنات الحارث بن هشام

(١) السوام والسائم المال الراعي (٢) النفاق من نفق البيع ينفق بالضم أي راج

Digitized by Google

ولما زوج الوليد بن عبد الملك ابنه عبد العزيز بام حكيم بنت يحيى بن الحكم وامها بنت عبد الرحمن بن الحرث بن هشام، وكان يقال لها الواصلة لانها وصلت الشرف بالجمال، امهرها أربعين الف دينار. وقال لجرير وعدي بن الرقاع اغدوا عليّ (١) فقولا في عبد العزيز وام حكيم ، فغدوا اليه وانشده جرير قصيدة منها

ضم الامام اليه أكرم حرة ... في كل حالات من الاحوال
حكمية علت الحرائر كلها ... بمفاخر الاعمام والاخوال
فاذا النساء تفضلت ببعولة ... فضلتهم بالسيد المفضال

ثم قام عدي فأنشد

قمر السماء وشمسها اجتمعا ... بالسعد ما غابا وما طلعا
ما وارت الاستار مثلهما ... فيمن رأى منهم ومن سمعا
دام السرور له بها ولها ... وتهنآ طول الحياة معا

فقال له الوليد : لئن أقللت فلقد أحسنت . وأمر له بضعف ما أمر لجرير . وعدي هذا أول من شبه الزوجين بالشمس والقمر ، ومنه أخذ الشعراء هذا التشبيه وأكثروا

بنات نصيب قد تقدم ذكرهن في الباب الخامس عشر وضرب الناس المثل بهن للبنت يضن بها أبوها على من يخطبها ولا يرغب فيها من يرضاه لها فتبقى معنسة

بنت الحارث بن عباد — ممن يتمثل بها من النساء في الشرف والجمال بنت الحارث بن عباد . وأنشد الجاحظ لامرأة من بني مرة

(١) اغدوا علي أي مرا بي في الغدوة والغدوة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس

Digitized by Google

جاءوا بحارثة الضباب كأنما جاءوا ببنت الحارث بن عباد

زرقاء اليمامة – العرب تضرب المثل بها في جودة البصر وحدة النظر ويقال ان اليمامة اسمها وبها سميت بلدها اليمامة ثم أضيفت الى البلدة فقيل زرقاء اليمامة . واسم البلدة جوّ، وربما قيل زرقاء الجو كما قال أبو الطيب المتنبي

وأبصر من زرقاء جوّ لانني اذا نظرت عيناي شاءهما علي

وهي امرأة من جديس كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام ، فلما قتلت جديس طسما خرج رجل من طسم الى حسان بن تبع فاستجاشه وارغبه ، فخرج في جيش جرار فلما كانوا من جوّ على مسافة ثلاثة أيام صعدت الزرقاء السطح فنظرت الى الجيش وقد أمروا ان يحمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ليلبسوا عليها، فقالت: ياقوم قد أتتكم الشجرة أو أتتكم حمير وقد أخذت أشياء تجر ر (١) فلم يصدقوها، فقالت أحلف بالله لقد أرى رجلا ينهش كتفاً أو يخصف نعلا فلم يصدقوها ولم يستعدوا حتى صبحهم حسان فاجتاحهم ، وأخذ الزرقاء فشق عينيها فاذا فيها عروق سود من الاثمد وقد ذكرها الاعشى فقال

ما نظرت ذات اشفار (٢) بنظرتها حقاً كما صدق الذئبي اذ سجعا

قالت أرى رجلا في كفه كتف أو يخصف النعل لهفي أية صنعا

واياها عنى النابغة بقوله

واحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت الى حمام سراع وارد الثمد

ولها قصة معروفة سائرة

عجائز الجنة - قال الزبير بن بكار باسناد له كان عروة بن الزبير عند عبد الله بن مروان، فذكر أخاه عبد الله، فقال : قال أبو بكر كذا وفعل أبو بكر

(١) تجر تسحب (٢) الاشفار جمع شفرة وهي حرف جفن العين

Digitized by Google

كذا، فقال له بعض الحاضرين أتكنيه عند أمير المؤمنين لا أم لك؟ فقال له عروة ألي يقال لا أم لك وأنا ابن عجائز الجنة؟ يعني صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي أم الزبير، وخديجة بنت خويلد سيدة نساء العالمين وهي عمة الزبير، وعائشة أم المؤمنين وهي خالة ابن الزبير، وأسماء ذات النطاقين وهي أمه

عجوز اليمن — قال وهب بن منبه استعمل علينا بن عبد الله بن الزبير رجلا منا، وكان دميما يلقب عجوز اليمن، فقدمت على ابن الزبير في وفد اليمن وعنده عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال لي: يا عبد الله كيف عجوز اليمن؟ فلم أجبه فاعادها مراراً، فلما أكثر قلت: أسلمت مع سليمان لله رب العالمين، فما فعلت عجوز قريش؟ قال وما عجوز قريش؟ قلت أم جبل حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد، فضحك ابن الزبير وقال لابن خالد: أسأت المسئلة وأحسنت الجواب

حمالة الحطب — هي أم جبل بنت حرب وأخت أبي سفيان التي ذكرها الله تعالى في سورة — تبت — يضرب بها المثل في الخسران فيقال أخسر من حمالة الحطب، قال الشاعر

جمعت شيئاً ولم تحرز له بدلاً ... لانت أخسر من حمالة الحطب

ولقي الفضل بن عباس بن أبي لهب الاحوص الانصاري الشاعر فانشده الاحوص من شعره، فقال له الفضل: انك لشاعر ولكنك لاتحسن ان تؤيد(١) فقال بلى والله اني لاحسن ان أؤيد حين أقول

ماذات حبل يراها الناس كلهم ... وسط الجحيم ولاتخفى على أحد

ترى حبال جميع الناس من شعر ... وحبلها وسط أهل النار من مسد

(١) تؤيد تقوى ومراده انه لايقول المتين المستقر في لفظه

Digitized by Google

فاجابه العباس فقال

ماذا تريد الى شتمي ومنقصتي أم ما تعير من حمالة الحطب

غراء سائلة في المجد نزتها كانت سلالة شيخ ثاقب الحسب

خضراء الدمن — هذه من جوامع كلم النبي صلى الله عليه وسلم القليلة الالفاظ الكثيرة المعاني التي لم تسبقه العرب اليها ،ولما قال عليه السلام :ايا كم وخضراء الدمن ، قيل له يارسول الله وما خضراء الدمن ؟قال المرأة الحسناء في منبت السوء ،وحكى الهمذاني عن أبي الفتح الاسكندراني في احدى مقاماته

علقت خضراء دمنه شقيت منها بأبنه

زواني الهند—قال الجاحظ :انما سار الزنا وطلب الرجال في نساء الهند أعم لان شهوتهن للرجال أشد، فلذلك اتخذ الهند دورا للزواني ، قال ومن احدى علل حبهن للزنا ورغبتهن البظر والقلفة (١) فان البطراء تجد من اللذة مالا تجده المختونة وأصل ختان النساء لم يحاول به الحسن دون التماس نقصان الشهوة ليكون العفاف مقصورا عليهن، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لام عطية الخاتنة — أشميه ولا تنهكيه (٢) فانه أسرى (٣) للوجه وأحظى عند البعل — كأنه أراد ان ينقص من شهوتها بقدر ما يردها الى الاعتدال ، فان شهوتها اذا قلت ذهب التمتع ونقص حب الازواج ، وحب الزوج قيد دون الفجور . وذكر صاحب كتاب « المسالك والممالك» ان عامة ملوك الهند يرون الزنا مباحا خلا

(١) البظر والقلفة واحد وهو لحمة بين شفر المرأة تقطع في الختان (٢) أشميه أي أقطعي منه المرتفع البين الظهور . ولا تنهكيه أي لا تبالغي في القطع منه . وفي حديث آخر انهكوا الاعقاب أو لتنهكها النار . أي بالغوا في غسلها وتنظيفها في الوضوء (٣) أسرى أي أخفى وأمنع

Digitized by Google

ملك قمار .قال وقد دخلت مدينته وأقمت بها سنتين فلم أر ملكا أغير ولا أشد في الاشربة منه ، فانه يعاقب على الزنا والشرب بالقتل ، فاما غيره من ملوك الهند فانهم جميعاً يرون الزنا مباحا لا يتحاشون عنه ، غير ان من أحصن منهم امرأة فعرض لها عارض فزنيا جميعاً قتل الرجل والمرأة قتلا ذريعا

صواحب يوسف — يقال للنساء عند شكايتهن وذم أخلاقهن ،وقال النبي صلى الله عليه وسلم لبعض نسائه وهو يعاتبها :انكن صواحبات يوسف ، وقال أبو تمام — هن عوادي يوسف وصواحبه —

ضرائر الحسناء — يضربن مثلا للحساد الافاضل ، قال الشاعر

حسدوا الفتى اذلم ينالوا سعيه فالقوم اعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا وبغيا انه لدميم

الباب الحادي والعشرون

فيما يضاف و ينسب الى النساء

كيد النساء ، رأي النساء ، نخلة مريم ، عرش بلقيس ، ذنب صخر،شؤم البسوس ، عطرمنشم ، حمق دغة ، رغيف الحولاء ، عزة أم قرفة ، عزة الزبا ، يوم حليمة ، نكاح أم خارجة، برد العجوز، غلمة سجاح ،بيت عاتكة ،حمام منجاب، سوق العروس، مرآة الغريبة ،سوداء العروس، بكاء الثكلى ،ليلة العروس ، أصابع زينب ، فحش سوسه ، داء الضرائر ،

الاستشهاد

كيد النساء — يضرب به المثل في كل زمان ومكان. قال بعض السلف: ان كيد النساء أعظم من كيد الشيطان لان الله تعالى يقول — ان كيد الشيطان

Digitized by Google